آفاق السيميائيات البصرية ورهاناتها

مشروع السيميائية الأيقونية الواصفة

قوتال فضيلة*

تقوم الدراسات السيميائية عموما على الإجراء الوصفي، إذ تحتفي في تنوعات مجالاتها بما تقدمه من آليات تحليلية تعمل على وصف الأصناف السيميائية بغية التنظير لبنية اشتغالها، أو عملاً على مقاربتها باستكشاف تأويلاتها المتعددة، من خلال ما تفتحه علاماتها من سيرورات دلالية. وذلك ديدن السيميائيات البصرية بوصفها فرعا من فروع السيميائيات. إلا أن ما يميز السيميائيات الأيقونية الواصفة La méta sémiotique iconique هو كونها مشروعا جرئ الطرح، إذ يسعى إلى تجاوز القاعدة البارتية، التي تقنن للفكر اللساني بوصفه مرجعية للأنساق السيميائية جميعها.

تقترح السيميائية الأيقونية الواصفة آلية جديدة لتأويل الأنساق البصرية، من خلال المحافظة على طبيعة السنن الواحد (le mono code) المشترك بين الموضوع ولغة التأويل، حيث تسعى إلى إنشاء تأويل أيقوني تكون فيه الصورة-اللغة واصفة للصورة- الموضوع. وفي مقابل مشروع التجريد الذي ميز اللغة الواصفة التي اقترحها يلمسليف، تتجلى صعوبة التنظير للمشروع المناقض الذي اقترحته بعض الأصوات السيميائية المعاصرة. وأذكر منها: فرانسواز كازانوفا Françoise Casanova وبارنارد داراس Bernard Darras و Coliandro Stephanie . فما هي الآفاق التأويلية التي بلغتها هذه الرؤية السيميائية، أو يمكن أن تبلغها؟ علما بأن ما تطرحه التكنولوجيا يوميا من مستجدات، في جانب البصريات قد يكون مجالا أحوج إلى تأويلات سيميائية ذات طابع أيقوني.

- رهانات السيميائية الأيقونية الواصفة:

تعد الخطابات البصرية الأنساق السيميائية الأكثر حضوة باهتمام السيميائيين المنظرين، والممارسين للتحاليل التطبيقية على الخطابات، ذلك لأنها تقدم الخطاب الأكثر وضوحا فيما يتعلق بتمظهر دوالها، من خلال صفته التعيينية المرئية. وهذا ما يحقق حالة الانفصال التام في العلامة البصرية بين شقيها: الدال والمدلول. هذا و قد مثل الاستثمار الهائل لها، في الفترة المعاصرة، أوج الاستعمال السيميائي اعتمادا على درجة التّأثير القصوى، بناء على نسبة التلقي العالية كمًا وكيفا للخطابات البصرية عند الإنسان بكل فئاته العمرية، وطبقاته الاجتماعية، وأحواله النفسية، بل ومستوياته الثقافية ومراتبه العلمية.

* - باحثة أكاديمية - جامعة ابن خلدون- تيارت- الجزائر

ولما كان أمر الخطابات البصرية بالغ الأهمية في إعمال الوسائط البصرية كالملصقات الإشهارية والدعائية، أو الحاضرة منها على صفحات الجرائد والمجلات والمواقع الالكترونية، والسمعية البصرية مما تقدمه التلفزة أو الأنترنت، عمد صرح كبير من الباحثين بدء بـ "رولان بارت" في تحليله للملصقة الإشهارية الخاصة بسلعة المعجنات، إلى مدارسة العلامة البصرية من خلال عمليات التصنيف والتحليل، وتحديد وظائفها السيميائية.

لا أحد ينكر قدرة العلامات الأيقونية على التواجد المكثف في الخطابات المتداولة، إذ تعمل الخاصية المشتركة بين موضوعها وممثلها، حسب التحديد الاصطلاحي لشارل سندرس بيرس، على تسريع وتسهيل عملية إنتاج الدلالة عند المتلقي بخلاف العلامات الأخرى التي تحتاج إلى إمعان وتفكير. إن العلاقة المعللة تلك غير الاعتباطية التي تجمع بينهما هي التي تكسب الأيقونة قوة اشتغالها الدلالي حيث الوظيفة السيميائية تفوق المتانة التي يمنحها التواضع والاصطلاح، فهل تضطلع الأيقونة بالفعالية ذاتها عندما تعتلي رتبة العلامة الواصفة أم لا؟ وهل يمكننا تأدية هذا الدور التحليلي حقا؟ علما بأن المقصود بـ "السيميائية الواصفة" في هذا المقال، هو كل طرح نظري منتج لمجموعة العمليات التحليلية، لأن التحليل السيميائي يمثل، دائما، سيميائية واصفة للسيميائيات الموضوع[1] التي يؤسس لها ويدرسها، كما هو حال بالنسبة للسان الواصف.

يمكن أن نميز في الوظيفة الواصفة بين اللسان-الموضوع، واللسان-الواصف، وسيكون هذا الأخير على الأغلب طبيعيا لا اصطناعيا، إلا في حالة العلوم التجريبية، حيث يكون السعي إلى إقامة لغة جبرية أو رمزية كالرياضيات أو الكيمياء مثلا، حيث التمييز بين وظيفتين واصفتين، تقوم أولاهما بوصف المفاهيم بلسان طبيعي يحددها نطقا، أو فكرا، تحوله الوظيفة الثانية إلى نمط رمزي يقوم على وظيفة سيميائية، لأنها لا تقف عند حد وصف اللغة، بل تهدف إلى وصف المفاهيم والماهيات وعلاقاتها فيما بينها. كما يقدم اللسان-الواصف مجموعة من "... الأنظمة الفرعية لعمليات توضيح آليات إنتاج النظام الكلي"[2] باستخدام الوحدات اللغوية ذاتها والقواعد التي تحكمها، وتنظمها.

يتوجب علينا، إذن، في هذا المقام التمييز بين "اللسان الواصف" و " اللغة الواصفة" و"الخطاب الواصف" بناءً على الأسس المعرفية التي وضعها دوسوسير وهي إشكالية اصطلاحية تحدثت عنها راي دوبوف Rey Debove معرفة اللسان-الواصف بالنظام الواصف "... الخاضع لسنن معين في علاقة مع لسان ما، وتحقيق هذا النظام في خطاب هو الخطاب الواصف، مقارنة بالخطاب في لسان ما، ومن ثم فإن مجموع اللسان الواصف والخطاب الواصف للسان ل1 هو اللغة الواصفة (و1) للسان ل1"[3]. وأظن أن هذا التصنيف ملائم للسان الطبيعي الذي يتميز عن غيره من الأنظمة التواصلية بخاصية أساسية تجعله شاملا.

ويعود ذلك حسب "يلمسليف" إلى كون الألسن البشرية "غير ملزمة بنهايات خاصة، وأنها تنتج كذلك انطلاقا من حرية قواعدها"[4] فعلى الرغم من أن اللسان الطبيعي هو نظام معياري الاستعمال نظرا للقوانين التي تحكمه، إلا أن امتلاك هذه الكفاءة اللسانية مرفق بالإبداع اللفظي الحاصل من الجانب الانتقائي أو الابتكاري. فإذا كانت الكفاءة اللسانية تسمح بإنتاج جمل مقبولة عن اللسان، وبالأخص تلك التي تقر بأن الجمل حول العالم هي جمل مقبولة أم لا[5] علما بأن دورها لا ينحصر في ذلك وحسب فإن آليات التحليل والمقاربة والفهم، والتوضيح تقوم عليها أيضا، وأحسبها تحتاج، في ذلك، إلى كفاءة لسانية أكبر.

يعود تنصيب النظام اللساني، في رتبته العليا والمرجعية، إلى التنظير السيميائي لـ:"رولان بارت" الذي أكد حاجة الأنظمة السيميائية إلى نظيرها اللساني في عمليتي الفهم والتفكير، تفسيرا أو تأويلا، مما دفعه إلى تعميم علم اللسانيات على السيميائيات، رغم كون موضوع الأول جزءً من موضوع الثاني، فهل يكون اللسان، دائما هو الوسيط الأفضل في الحديث عن السيميائيات غير اللسانية، وهل يمكنه بالفعل قول كل شيء عنها؟

إن تساؤلا من هذا القبيل يجرنا إلى تأمل الفكر البشري وحتمية كونه لسانيا وحسب، فهل يمكن أن نتحدث عن فكر بصري مثلا، ذلك لأن قدرة النظام اللساني على الحديث عن الصور لا تعادل مطلقا حديثه صورا. أيمكن للسان أن يتحدث صورا؟ وهما حالتان مختلفتان للخطاب الواصف، الذي يفترض أن يكون موضوعه خطابا بصريا، فهل يكون من الصواب الاكتفاء بالحالة الأولى؟ وما مدى شرعية الطموح إلى الحالة الثانية؟

صحيح أن النظام اللساني يمثل مرجعية الأنظمة السيميائية، لكن الملفت للانتباه يكمن في إحالة كل العلامات، على تنوعها، وإلى الصورة الذهنية، حسب التنظير السوسيري الذي تبناه "رولان بارت" نفسه. وهذا ما يثبت إذن المرجعية التصورية كل الأنظمة السيميائية بما فيها اللسان البشري. وعلى الرغم من الفرق بين مفهومي الصورة الذهنية والصورة البصرية، إلا أن المشترك بينهما يكمن في نمط إدراك المدلول. إنه المفهوم أو التصور الذهني، فإذا كانت الصورة الذهنية شرطا أساسيا لقيام العملية الإدراكية، لن يكون غريبا، إذن، الحديث عن تفكير بصري مرجعي.

علامة لسانية واصفة

دال 1	مدلول1
مدلول 2	دال 2
تصور ذهني	صورة أكوستيكية

علامة أيقونية واصفة

دال1	مدلول1
مدلول 2	دال 2
تصور ذهني	صورة بصرية

إن طبيعة العلامة الأيقونية القريب دالها من مدلولها تجعل منها علامة سيميائية بسيطة الفهم، سهلة التأويل غالبا، وهذا ما يدفع إلى التفكير في التقليل من صرامة اللغة الواصفة من خلال استثمار بساطة العلامة الأيقونية، إلا أن هذه الخاصية تعيق النظام الأيقوني عن تشكيل نسق نظري يعتمد الدقة والصرامة في التأسيس لأنظمة سيميائية أخرى أو تحليلها.

إن مجموع العلامات البصرية المتمثلة في الأشكال والمخططات المنتجة بغرض وصف نص ما، وشرحه تمثل خطابا واصفا للسان بوصفه خطابا-موضوعا. فهل يمكن أن يكون الخطاب الموضوع بدلا من ذلك خطابا بصريا؟ هل يمكن أن نقوم بوصف وشرح صورة والتأسيس لكيفية اشتغالها باستعمال علامات بصرية واصفة، ليكون الناتج خطابا أيقونيا واصفا مؤسسا، يمكن اعتماده في عمليات التحليل ضمن تقنية السنن الموحد Le Momo Code.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العلامات الأيقونية تشترك مع العلامات اللسانية في كونها نمطا لغويا يسمح "... بالتشارك والتبادل والتواصل بين البشر"[6] وهي الوظيفة اللغوية الأساسية.

إن الحديث عن صور وسائط لصور أخرى يحيلنا إلى مسألة الإمكان الدلالي للصورة الواصفة التي قد تقول شيئا أخر غير الصورة الموضوع، إذ لا يحتمل الخطاب البصري صفة التمفصل إلى وحدات خطية تجعل التمدلل العلامي نشاطا داخل علامي بل إن التموضع التراكمي لعناصر الصورة بوصفها مجموعة من العلامات الجزئية يجعل منها علامة-موضوع تحتاج إلى الوصف من جديد، وهذا ما يؤثر على مدى فاعليتها في التعليق على صورة أخرى.

لقد ميز علم المنطق الحديث بين مستويي اللغة المتمثلين في "اللغة الموضوعية، المتحدثة عن الأشياء واللغة الواصفة المتحدثة عن اللغة ذاتها" [7]، حيث يتمركز الخطاب حول السنن، فيستعمل مفرداته وتركيباته ودلالاته من أجل دراستها كلها، أو إحداها وهو الأمر الذي يكسب السنن اللساني القيمة العظمى في كل خطاب واصف.

إن للغة البشرية إمكانات خاصة تخولها إلى أن تتجاوز احتواءها لعالم الأشياء، من أجل أن تحتوي نفسها من خلال كفاياتها التعبيرية، التي قد تؤدي وظيفة (ميتا لسانية) واصفة، تعمل على الوصف العلمي للغات الطبيعية وغيرها، إلا أن التمييز واجب بين اللغة الواصفة العلمية واللغة الواصفة غير العلمية" [8]، المتمثلة في بعض أحاديثنا اليومية ، التي يكون هدفها "... تحديد معنى الإشارات، وذلك لأن المتلقي قد لا يفهمها" [9]، فتستعمل فيها بعض العلامات الواصفة التي تؤكد الوظيفة الدلالية للعلامات المنطوق بها أولا. وتفيد هذه المقارنة إلى التخمين المبدئي في احتمالية عدم تجاوز الأيقونات الواصفة الوظيفة الثانية إذ تكتفي بالشرح والتعليق في كثير من الأحيان.

إن للخطاب الأيقويني، كثيرة من الخطابات السيميائية الفعالية في ترجمة الأفكار البشرية منذ قديم العصور، حيث أنتجت المزاوجة بينه وبين العلامات اللسانية تنوعا دلاليا، بدءً بما عرف قديما بالكتابة التصويرية ، ووصولا إلى المخططات المصاحبة للنصوص المكتوبة أو الملصقات المعروضة ، وبعض الأفلام الوثائقية والفيديوهات التي عوضت الكتابة المنفردة في شرح الظواهر العلمية.

إن هذا الإنتاج السيميائي الثنائي يدفع، حقًا، إلى التفكير في إمكانية نجاح الازدواج العلمي ذاته على مستوى خطابي واصف. وهو الأمر الذي يثبته واقع الأبحاث العلمية والدراسات النقدية التي تصف الخطابات السابقة، بواسطة تحليلها اللساني-الأيقوني. فهل يمثل ذلك الاحتمالَ الأقصى للإنتاج الأيقوني الواصف، تأكيدًا لحاجته المرجعية إلى النظام اللساني بوصفه ركيزة فكرية تؤسس لمهام التفسير والشرح والتعليق. بينما تكتفي الأيقونات الواصفة بالدور التوضيحي المبسِط. إنه الأمر الذي تجسده مؤلفات النقد الفني، حيث تؤول الصور البصرية بخطابات مزدوجة لا تستغني مطلقا عن التأليف اللساني الواصف، بل وقد ينتفي استعمال الخطاب الأيقوني الواصف فيها، على الرغم من كونها مجاله الأكثر ثراء.

إن المحاولات السمعية البصرية التي تحدث عنها كل من داراس B.Darras وفرانسواز كازانوفا F.Casanova في مقالهما:"الوسائط المتعددة والسيميائيات الأيقونية"، تمثل استثمارات فعلية لما تقدمه التكنولوجيا الحديثة من برامج إلكترونية تمنح مستعملها إمكانية تعديل الصور والكتابة عليها، وإعداد التسلسل التراتبي، مع تسهيل عمليات موضعة الصور فوق بعضها، والتحكم في أحجامها، والتلاعب بالألوان والأشكال ونسب الإنارة وأنماط التأطير. وقد تعمل الخطابات المنتجة على وصف أنظمة سيميائية أخرى، كما هو الحال بالنسبة لعروض التصورات التي تصف المخططات الهندسية المعمارية، بل وتُقيمها في مراحل دراسية لمشاريع أخرى على سبيل المثال.

إنها نماذج تثبت قدرة الصورة على أداء مجموعة من الوظائف الدلالية، إذ تعمل على تفعيل الاشتغال العلامي بواسطة الإخبار، والشرح، والتوضيح، والإظهار، والتنظيم، والسرد أحيانا. ولأنها تملك الكفاءة السيميائية التي تؤهلها لتأدية ذلك، فإنها ".... تتحقق داخل الأبعاد الرمزية والجمالية التي تغزو عالم الدلالة، إذ تلتحق أحيانا بالنص، فتجعل كلا من اللامقول واللامسموع واللامسمى مدركا"[10] فما مدى قدرة العلامات الأيقونية على تحقيق الأدوار التأويلية المتمثلة في:

1-إطلاق التأويل.
2-إعمال التأويل.
3-مساعدة التأويل.
4-كونها مؤوِلاً لعلامات أيقونية أخرى.

إن اختبار قدرة العلامات الأيقونية على التأويل، لا بد أن ترافقه مساءلة كفاءتها في كل من وظيفة الترجمة والتجريد، إذ تمثل هذه الأدوات أنماط اللغات الواصفة التي تنقل العلامات ضمن نظمها السيميائية المختلفة.

إن استعمال مصطلح "التعبير" لدى يلمسليف مقابل مفهوم الدال السوسيري نابع من أصل الوظيفة الأولى التي تؤديها اللغة وهي التعبيرية السابقة عن الوظيفة التواصلية، وأقصد بذلك فعل التعبير، بوصفه ترجمة للأفكار الذهنية ، إذ نربط هنا بين الآليتين اعتمادا على نقلهما لـ:

الإنتاج العلامي: محتوى ——◄ تعبير

الترجمة:[محتوى1 ——◄ تعبير1] ——◄ تعبير 2

إنهما عمليتان متطابقتان تقريبا، حيث تسعى العلامة المترجمة إلى نقل الدلالة من نظام علامي إلى نظام علامي أخر، مع احتمالية حدوث تغيير على مستوى النسق من حيث عدد العلامات وترتيبها بينما يكشف التشريح النظري عن تمفصل التأويل العلامي إلى :

[محتوى ——◄ تعبير] تأويل ——◄ محتوى 2 تمثيل أيقوني ——◄ تعبير 2

وبالرجوع إلى التعريف النظري لمفهوم الأيقونة عند "موريس" الذي يعتبر تمامًا مرتبطًا بتطابق العلامة مع موضوعها، أي تطابق تعبيرها مع محتواها، إذ يتعلق الأمر بعلامة تحيل إلى موضوعها من خلال الكشف عن جزء من أجزائه، تتأكد فكرة شرطية الثقافة والأعراف في تأويل الأيقونة ذاتها، فهي التي "... تحدد الموضوعات التي يمكن التعرف عليها استنادا إلى خصائص أو سمات للتعرف"[11]، إضافة إلى الشروط الطباعية للاستنساخ وصيغه، إذ لا يمكننا بلورة علامة أيقونية من موضوع غير معروف، أو يؤسَس ممثلها على جزئية أو خاصية لا يقر العرف بأهليتها لتمثيل الموضوع والدلالة عليه، بعد مناسبتها لمادته.

إنها، إذن، علامات عرفية يتشكل الدال فيها "...ظرفيا من مادة هي ذاتها الموضوع الذي قد يستعان به إذا ما استعملت هذه العلامات في فعل مرجعي ملموس"[12]. ولما كانت وظيفة العلامة الواصفة هي تعيين علامات أخرى، إذ تستعمل بغرض تحديد خصائص لغات أخرى ، ولنفترض أن تكون اللغة-الموضوع هنا بصرية، كان على الأيقونة

الواصفة أن تحمل سمة من سماتها. ويشترط في المقابل أن تتجنب التطابق معها، لأن تداخل اللغتين لا ينتج خطابا ذا فائدة، لا على صعيد وصفها كشفا لخصائصها، ولا تأويلا لعلاماتها.

تمنح درجات التشابه بين ممثل وموضوع الأيقونات فسحة للانتقال من التطابق التام إلى التماثل الجزئي، إذ يميز بيرس في قسم الأيقونات بين "الصور التي تشبه الموضوع من بعض الجوانب وبين الرسوم البيانية التي تعيد إنتاج بعض العلاقات بين أجزاء الموضوع، وبين الاستعارات التي لا ندرك داخلها سوى تواز عام. أما ما يطلق عليه الصور فبإمكاننا التمييز بين الأيقونية الضعيفة..وبين "الواقعية" "المحاكاتية"[13]

- **الكفاية اللسانية أم الكفاية الفنية؟**

إن الحاجة إلى استثمار أنظمة سيميائية غير لسانية في التأسيس لخطاب واصف تعود أساسا إلى سد النقائص الحاصلة في عملية تلقي الفنون والخطابات البصرية عامة. فكثيرا ما نجد أنفسنا أمام مؤلفات تفتقد إلى الذوق والحس الفني لكنها تتقن اللعب اللغوي، ومؤلفات أخرى تكاد توصلك إلى متعة التلقي، ويصدها عن ذلك العجز اللغوي في وصف هذا الخطاب الفني، ناهيك عن الحالات الفنية التي تعجز اللغة، في كثير من الأحيان، عن أن تمثل بحق الأثر الذي تنتجه اللوحة مثلا في نفسية المتلقي.

تعمل المزاوجة بين الخطاب اللساني الواصف، والخطاب الأيقوني الواصف على تعويض الكفاية الضائعة في عملية التحليل، حتى تصبح ضرورة إتقان لسان ما، وبدرجة عالية جدا، شرطا أساسيا في شخصية المتلقي للفنون البصرية ، ونخص بالذكر الفنون التشكيلية على اختلاف أنماطها: الرسم، النحت، النقش، الكاليغرافيا....والتي تغلب كفة الحس الفني في نقدها على الملكة اللغوية. ولما كان حضورها معا غير متوفر بشكل حتمي جاز التفكير في التأسيس لسيميائية أيقونية واصفة تعمل على مقاربة الفنون وتأويلها، علما بأن الإنتاج الأيقوني هو تعبير متأصل في الفكر البشري يصنعه، إدراك العالم والعرف التمثيلي.

صحيح أن ما يميز الإنسان عن غيره من باقي المخلوقات كونه مفكرا ناطقا، إلا أن نعمة الكلام هاته هي قدرة تفتقدها فئات كثيرة من ذوي الاحتياجات الخاصة، لا يمكن إهمالها. وقد أثبتت التجارب الحياتية الكفاية الفنية لدى كثير من الفنانين الصم البكم، أو المصابين بمرض التوحد، وحتى أولئك اللذين يعانون من تأخر عقلي بنسب متفاوتة، وهي حالات تغيب فيها القدرة على إنتاج خطاب لساني واصف، في أبسط أشكاله التأويلية كالتعليق على العمل بصفة مرتجلة. إنها إستراتيجية حضارية في إدماج فئات خاصة إلى عالم التلقي الفني، تثمينا للذوق الفني الذي يمتلكونه، أو استثمارا لأنماط تعبيرية تطور من التقنيات العلاجية التي يتلقونها.

يشير "برنارد داراس" في مقابلة صحفية إلى ضرورة التفكير في السيميائيات الأيقونية الواصفة بغرض التعامل، مثلا، مع المرضى الذين يعانون من عجز العقل لديهم عن إيجاد العبارة الملائمة لأفكاره، وهو الأمر الذي يدفع إلى استعمال أنظمة سيميائية غير لسانية قد تصل الحاجة فيها إلى خطابات واصفة، تكون العلامات الأيقونية فيها الأسهل في تنشيط الدماغ المصاب، وتفعيل التعبير غير اللساني لديه.

- **مأزق اللاإدراك الفني والنجدة الأيقونية:**

يمثل اللامدرك في الخطابات الفنية الأجزاء العلامية، التي تحقق مرحلة الاستقبال، فتستقر العلامة حيث الإدراك الأول لصفتها الظاهرة، تليها مرحلة الشلل الفكري في ترجمة هذا التعبير إلى فكرة، على الرغم من توفر التلقي الحسي لها، بل والشعوري أحيانا. إن عبارات مثل \ كم هي رائعة\ لوحة ممتعة / غمرتني بالسعادة أو بالشجن/ لا تعني بالضرورة الوصول إلى مرحلة الكشف الدلالي. ويبقى التلقي معلقا بين درجتي الجهل والوعي، الجهل التام بالنظام العلامي في مستواه التعبيري، ودرجة الوعي بسيروراته الدلالية. حيث تمثل حالة اللاإدراك معرفة بالمستوى الأول وحيرةً وتردداً على المستوى الثاني.

إن العلامات الأيقونية الممثلة بالحركات الجسدية، التي ينتجها المستمع إلى سيمفونية ما، أو الغارق في قسمات لوحة فنية وهو يتحدث عنها، هي خطاب واصف موازٍ يعمل على ملء الفراغ الحاصل في التعليق اللساني (اللامقول)، بسبب الفراغ الفكري تجاهه. فعندما تخاطب العلامات أهواءنا لا يمكن أن نرغم عقولنا على تلقيها لأنها لم تُستهدف مطلقا. ويصبح مركز الاستقبال هو المسؤول عن ردة الفعل الشعورية، مجسدة في تنويع علامي، قد تشغل فيه الأيقونات الحركية حيزًا لا بأس به.

لا يمكن، إذن، للتنظير السيميائي، المؤسس لجميع الأنظمة العلامية، أن يهمل بعضا منها بعلة أفضلية بعضها على بعض. صحيح أن النظام اللساني هو النظام الأكثر شهرة في الاستعمال البشري، إلا أن شهرته تلك لا تلغي في المقابل أهمية الأنظمة الأخرى، التي لا ينعدم استعمالها اليومي، وبشكل مكثف في السلوكات والتعاملات وأنماط التواصل المباشرة. إن الرهان فيها جميعا قائم على فعالية الإنتاج الدلالي لا غير. وعليه فإن اللجوء اللساني إلى العلامات غير اللسانية في المحادثات اليومية يقر من ناحية أخرى بجدارتها السيميائية.

- **الخطابات الفنية الواصفة:**

إن أعمالا فنية كثيرة قد تم إنتاجها بوصفها مرافقة، ملائمة، قارئة ومن ثم فهي واصفة لأعمال فنية أخرى. إنها نشاطات فنية بالغة الأهمية تسعى، في القطعة الموسيقية مثلا، إلى ترجمة القصيدة إلى نوتات أو إلى حركات في عمل فني كاليغرافي. حيث تسعى العلامات إلى تأويل علامات أخرى، وقد أفرزت تكنولوجيا الإعلام الآلي إمكانية إرداف الخطاب على الخطاب، فأصبحت الموسيقى المرافقة مثلا لعرض بصري يقدم اللوحة الفنية خطابا واصفا لها، إذ تتغير أيقوناته السمعية لتمثل أجزاءها: حادة مع الألوان المتوهجة، وخافتة مع الهادئة منها، تعوض صرخة الفم المفتوح، وتجسد الفرحة، وتتوتر مع فجوات التيه والعتمة....إلخ.

وقد تكون تقنية التصوير متعدد الأبعاد مجالا خصبا لصناعة الخطابات الأيقونية الواصفة، علما بأن الأيقونة لا تكون بصرية وحسب (الأيقونات: بصرية، ذوقية، لمسية، شمية، سمعية) وهي التقنيات التي أثرت ميادين شتى كالثقافة والعمل والتعليم والتسلية. وهذا ما يحفز حقا على التفكير في تطوير فكرة السيميائيات الأيقونية الواصفة، من أجل أهداف بيداغوجية تؤسس للتعليم عن بعد والتعليم بالوسائط السمعية البصرية. وهذا ما يستدعي حقا، الاهتمام الأمثل بمهام التكوين الجديدة، وأهدافه.

الهوامش:

1- voir: Darras Bernard. Françoise Casanova, multimédia et méta-sémiotique iconique, M E I médiation et information n;11, 2000 p.p 160-161.

2- Antoine culioli, Jean Pierre Descies, système de représentations linguistiques et métalinguistiques, p70, publié par l'UNESCO, 1996.

3- Josette Rey-Debove, le métalangage, Le Robert, Canada, 1986, p20.

4- ibid. p18.

5- ibid. p21.

6- Ouhibi Ghassoul bahia, pour une lecture sémiologique du signe iconique et du texte scripturale , p14, in sémiotique, n 2, 2000.

7- Alain Rey, théorie du signe et du sens, lecture II p206, ed klincksieck, paris, 1976.

8- voir: Hjelmeslev, prolégomènes à une théorie du langage, tra. Anne Marie et autres, ed minuit, Paris, 1968.

9- بيير جيرو، علم الإشارة، السيميولوجيا، تر، منذر عباشي، ص 33-34، طلاس، دمشق، 1992.

10- Ouhibi Ghassoul Bahia, pour une lecture sémiologique du signe iconique et du texte scripturale , p15.

11- أمبرو إيكو، العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، سعيد بن كراد، ص98، المركز الثقافي العربي، كلمة للنشر، أبو ظبي ، ط 1، 2007

12- م ن، ص97-98.

13- م ن ، ص 95.